كتاب
-إحياء علوم الدين-
تأليف
حجة الإسلام
أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي
تغمده الله برحمته
وبهامشه تخريج الحافظ العراقي
المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار

بسم الله الرحمٰن الرحيم

أحمده الله أولاً حمداً كثيراً متوالياً، وإن كان يتضاءل دون حق جلاله حمد الحامدين.[1][1] وأصلى وأسلم على رسله ثانياً صلاة تسغرق مع سيد البشرسائر المرسلين. واستخيره تعالى ثالثاً فيما انبعث عزمي من تحرير كتاب في إحياء علوم الدين. وانتدب لقط تعجبك رابعاً أيها العاذل المتغالي في العذل من بين زمرة الجاحدين، المسرف في التقريع والإنكار من بين طبقات المنكرين الغافلين فلقد حل عن لساني عقدة الصمت وطوقني عهدة الكلام وقلادة النطق ما أنت مثابر عليه من العمى عن جلية الحق مع اللجاج في نصرة الباطل وتحسين الجهل والتشغيب على من آثر النزوع قليلا عن مراسم الخلق ومال ميلا يسيرا عن ملازمة الرسم إلى العمل بمقتضى العلم طمعا في نيل ما تعبده الله تعالى به من تزكية النفس وإصلاح القلب وتداركا لبعض ما فرط من إضاعة العمر يائسا عن تمام حاجتك في الحيرة وانحيازا عن غمار من قال فيهم صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه: (أشد الناس عذابا يوم القيامة

---

[1][1] الحمد لله الذي أحيا علوم الدين فأينعت بعد اضمحلالها وأعيا فهوم الملحدين عن دركها فرجعت بكلالها أحمده وأستكين له من مظالم انقضت الظهور بأثقالها وأعبده وأستعين به لعصام الأمور وعضالها وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة وافية بحصول الدرجات وظلالها واقية من حلول الدركات وأهوالها وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أطلع به فجر الإيمان من ظلمة القلوب وضلالها وأسمع به وقر الآذان وجلا به رين القلوب بصقالها صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم صلاة لا قاطع لاتصالها.

وبعد فلما وفق الله تعالى لإكمال الكلام على أحاديث إحياء علوم الدين في سنة إحدى وخمسين تعذر الوقوف على بعض أحاديثه فأخرت تبييضه إلى سنة ستين فظفرت بكثير مما عزب عني علمه ثم شرعت في تبييضه في مصنف متوسط حجمه وأنا مع ذلك متباطىء في إكماله غير متعرض لتركه وإهماله إلى أن ظفرت بأكثر ما كنت لم أقف عليه وتكرر السؤال من جماعة في إكماله فأجبت وبادرت إليه ولكني اختصرته في غاية الاختصار ليسهل تحصيله وحمله في الأسفار فاقتصرت فيه على ذكر طرف الحديث وصحابيه ومخرجه وبيان صحته أو حسنه أو ضعف مخرجه فإن ذلك هو المقصود الأعظم عند أبناء الآخرة بل وعند كثير من المحدثين عند المذاكرة والمناظرة وأبين ما ليس له أصل في كتب الأصول والله أسأل أن ينفع به إنه خير مسئول فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليه وإلا عزوته إلى من خرجه من بقية الستة وحيث كان في أحد الستة لم أعزه إلى غيرها إلا لغرض صحيح بأن يكون في كتاب التزم مخرجه الصحة أو يكون أقرب إلى لفظه في الإحياء وحيث كرر المصنف ذكر الحديث فإن كان في باب واحد منه اكتفيت بذكره أول مرة وربما ذكرته فيه ثانيا وثالثا لغرض أو لذهول عن كونه تقدم وإن كرره في باب آخر ذكرته ونبهت على أنه قد تقدم وربما لم أنبه على تقدمه لذهول عنه وحيث عزوت الحديث لمن خرجه من الأئمة فلا أريد ذلك اللفظ بعينه بل قد يكون بلفظه وقد يكون بمعناه أو باختلاف على قاعدة المستخرجات وحيث لم أجد ذلك الحديث ذكرت ما يغنى عنه غالبا وربما لم أذكره وسميته: "**المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار**" جعله الله خالصا لوجهه الكريم ووسيلة إلى النعيم المقيم.

عـالم لـم ينفعـه اللـه سـبحانه بعلمـه)[2] ولعمـري إنـه لا سـبب لإصرارك على التكبر إلا الداء الـذي عـم الجـم الغفيـر بـل شـمل الجماهير من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمـر والجهـل بـأن الأمر إد والخطب جد والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة والأجل قريـب والسفر بعيد والزاد طفيـف والخطـر عظيـم والطريـق سـد ومـا سوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقـد البصـير رد وسلوك طريق الآخرة مع كثرة الغوائل مـن غيـر دليـل ولا رفيـق متعب ومكد فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وقد شغر منهم الزمان ولم يبـق إلا المترسـمون وقـد اسـتحوذ علـى أكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان وأصبح كـل واحـد بعاجـل حظه مشغوفا فصار يرى المعروف منكرا والمنكر معروفـا حـتى ظل علم الدين مندرسا ومنار الهدى في أقطار الأرض منطمسـا ولقد خيلوا إلى الخلـق أن لا علـم إلا فتـوى حكومـة تسـتعين بـه القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام أو جدل يتدرع بـه طالب المباهاة إلى الغلبة والإفحام أو سجع مزخرف يتوسـل بـه الواعظ إلى اسـتدراج العـوام إذ لـم يـروا مـا سـوى هـذه الثلاثـة مصيدة للحرام وشبكة للحطام.

فأما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصـالح ممـا سـماه الله سبحانه في كتابه فقها وحكمة وعلما وضـياء ونـورا وهدايـة ورشدا فقد أصبح من بين الخلق مطويا وصار نسيا منسياً.

ولمـا كـان هـذا ثلمـا[3] فـي الـدين ملمـا وخطبـا مـدلهما رأيـت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهما إحياء لعلوم الدين وكشفا عـن مناهج الأئمة المتقدمين وإيضـاحا لمبـاهي العلـوم النافعـة عنـد التبيين والسلف الصالحين.

وقد أسسته على أربعة أرباع وهي: ربع العبـادات وربـع العـادات وربع المهلكات وربع المنجيات.

وصدرت الجملة بكتاب العلم لأنـه غايـة المهـم لأكشـف أولا عـن العلم الذي تعبد الله على لسان رسـوله صـلى اللـه عليـه وسـلم الأعيان بطلبه إذ قال رسول الله صلى الله عليـه وسـلم: (طلـب العلم فريضة على كل مسلم)[4] وأميز فيه العلم النافع من الضار إذ قـال صـلى اللـه عليـه وسـلم: (نعـوذ بـالله مـن علـم لا ينفع)[5] وأحقق ميل أهل العصر عن شاكلة الصواب وانخداعهم بلامع السراب واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب.

ويشتمل ربع العبادات على عشرة كتب:

كتاب العلم، وكتـاب قواعـد العقائـد، وكتـاب أسـرار الطهـارة، وكتـاب أسـرار الصـلاة، وكتـاب أسـرار الزكـاة، وكتـاب أسـرار الصيام، وكتاب أسرار الحـج، وكتـاب آداب تلاوة القـرآن، وكتـاب الأذكار والدعوات، وكتاب ترتيب الأوراد في الأوقات.

---

[2] حديث (أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه) رواه الطبراني في الصغير والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف.

[3] ثلما: خللا.

[4] حديث (طلب العلم فريضة على كل مسلم) رواه ابن ماجه من حديث أنس وضعفه أحمد والبيهقي وغيرهما.

[5] حديث (نعوذ بالله من علم لا ينفع) رواه ابن ماجه من حديث جابر بإسناد حسن.

وأما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب:
كتاب آداب الأكل، وكتاب آداب النكاح، وكتاب أحكام الكسب، وكتاب الحلال والحرام، وكتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق، وكتاب العزلة، وكتاب آداب السفر، وكتاب السماع والوجد، وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة.
وأما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب:
كتاب شرح عجائب القلب، وكتاب رياضة النفس، وكتاب آفات الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج، وكتاب آفات اللسان، وكتاب آفات الغضب والحقد والحسد، وكتاب ذم الدنيا، وكتاب ذم المال والبخل، وكتاب ذم الجاه والرياء، وكتاب ذم الكبر والعجب، وكتاب ذم الغرور.
وأما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب:
كتاب التوبة، وكتاب الصبر والشكر، وكتاب الخوف والرجاء، وكتاب الفقر والزهد، وكتاب التوحيد والتوكل، وكتاب المحبة والشوق والأنس والرضا، وكتاب النية والصدق والإخلاص، وكتاب المراقبة والمحاسبة، وكتاب التفكر، وكتاب ذكر الموت.
فأما ربع العبادات فأذكر فيه خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل إليه بل لا يكون من علماء الآخرة من لا يطلع عليه وأكثر ذلك مما أهمل في فن الفقهيات.
وأما ربع العادات فأذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع في مجاريها وهي مما لا يستغني عنها متدين.
وأما ربع المهلكات فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن بإماطته وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه وأذكر من كل واحد من تلك الأخلاق حده وحقيقته ثم أذكر سببه الذي منه يتولد ثم الآفات التي عليها تترتب ثم العلامات التي بها تتعرف ثم طرق المعالجة التي بها منها يتخلص كل ذلك مقرونا بشواهد الآيات والأخبار والآثار.
وأما ربع المنجيات فأذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين وأذكر في كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذي به تجتلب وثمرتها التي منها تستفاد وعلامتها التي بها تتعرف وفضيلتها التي لأجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل.
ولقد صنف الناس في بعض هذه المعاني كتبا ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة أمور:
الأول حل ما عقدوه وكشف ما أجملوه.
الثاني ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه.
الثالث إيجاز ما طولوه وضبط ما قرروه.
الرابع حذف ما كرروه وإثبات ما حرروه.

الخامس تحقيق أمور غامضة اعتاصت[6] على الأفهام لم يتعرض لها في الكتب أصلا إذ الكل وإن تواردوا على منهج واحد فلا مستنكر أن يتفرد كل واحد من السالكين بالتنبيه لأمر يخصه ويغفل عنه رفقاؤه أو لا يغفل عن التنبيه ولكن يسهو عن إيراده في الكتب أو لا يسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف فهذه خواص هذا الكتاب مع كونه حاويا لمجامع هذه العلوم.

وإنما حملني على تأسيس هذا الكتاب على أربعة أرباع أمران:

أحدهما: وهو الباعث الأصلي - أن هذا الترتيب في التحقيق والتفهيم كالضرورة لأن العلم الذي يتوجه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة وعلم المكاشفة وأعني بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط وأعني بعلم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف العمل به والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة في إيداعها الكتب وإن كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمع نظر الصديقين وعلم المعاملة طريق إليه ولكن لم يتكلم الأنبياء صلوات الله عليهم مع الخلق إلا في علم الطريق والإرشاد إليه. وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والإيماء على سبيل التمثيل والإجمال علما منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال والعلماء ورثة الأنبياء فما لهم سبيل إلى العدول عن نهج التأسي والاقتداء ثم إن علم المعاملة ينقسم إلى علم ظاهر أعني العلم بأعمال الجوارح وإلى علم باطن أعني العلم بأعمال القلوب والجاري على الجوارح إما عادة وإما عبادة والوارد على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت إما محمود وإما مذموم فبالواجب انقسم هذا العلم إلى شطرين ظاهر وباطن. والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم إلى عادة وعبادة والشطر الباطن المتعلق بأحوال القلب وأخلاق النفس انقسم إلى مذموم ومحمود فكان المجموع أربعة أقسام ولا يشذ نظر في علم المعاملة عن هذه الأقسام.

الباعث الثاني: أني رأيت الرغبة من طلبة العلم صادقة في الفقه الذي صلح عند من لا يخاف الله سبحانه وتعالى المتدرع به إلى المباهاة والاستظهار بجاهه ومنزلته في المنافسات وهو مرتب على أربعة أرباع والمتزيي بزي المحبوب محبوب فلم أبعد أن يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفا في استدراج القلوب ولهذا تلطف بعض من رام استمالة قلوب الرؤساء إلى الطب فوضعه على هيئة تقويم النجوم موضوعا في الجداول والرقوم وسماه تقويم الصحة ليكون أنسهم بذلك الجنس جاذبا لهم إلى المطالعة والتلطف في اجتذاب القلوب إلى العلم الذي يفيد حياة الأبد أهم من التلطف في اجتذابها إلى الطب الذي لا يفيد إلا صحة الجسد فثمرة هذا العلم طب القلوب والأرواح المتوصل به إلى حياة تدوم أبد الآباد فأين منه الطب الذي يعالج

---

[6] اعتاصت: صعبت.

به الأجساد وهـي معرضـة بالضـرورة للفسـاد فـي أقـرب الآمـاد فنسأل الله سبحانه التوفيق للرشاد والسداد إنه كريم جواد.